

تفسير البحر المحيط

@ 453 يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْإِسْهُاقُ * السَّذَى يَصْلَى النَّارَ

الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى *
وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ
خَيْرَةٌ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى { } \$ < 7 ! .

الغناء ، مخفف الغناء ومشدها : ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات
والقماش ، قال الشاعر : % (كأن طميا المجير غدوة % .
من السيل والغناء فلك مغزل .
%) .

ورواه الفرّاء : والإغناء على الجمع ، وهو غريب من حيث جمع فعال على أفعال . الحوّة :
سواد يضرب إلى الخضرة ، قال ذو الرّمة : % (لمياء في شفتيها حوّة لعس % .
وفي اللّثات وفي أنيابها شنب .
%) .

وقيل : خضرة عليها سواد ، والأحوى : الطّبي الذي في طهره خطان من سواد وبياض ، قال
الشاعر : % (وفي الحي أحوى ينفص المرء شادن % .
مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد .

وفي الصحاح : الحوة : سمرة ، وقال الأعلم : لون يضرب إلى السواد ، وقال أيضاً : الشديد
الخضرة التي تضرب إلى السواد .

{ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْإِعْلَى * السَّذَى خَلَقَ فَسَوَّى * وَالسَّذَى قَدَّرَ
فَهَدَى * وَالسَّذَى أَخْرَجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى * سَنُقَرُّكَ
فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ * إِنَّ زَنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى *
وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى * فَذَكَرْ * إِنَّ زَفَعَتِ الذَّكَرَى * سَيَذَكَّرُ مَنْ
يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْإِسْهُاقُ * السَّذَى * يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ

لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا * يُحْيِي * قَدَّ أَفْلَاحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةَ * خَيْرُ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى .

هذه السورة مكية . ولما ذكر فيما قبلها { فَلَا يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ } ، كأن قائلًا قال : من خلقه على هذا المثال ؟ ف قيل : { سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ } . وأيضا لما قال : { إِنَّ رَبَّهُ لَقَوَّلٌ مُصَلٍّ } ، قيل : هو { سَدُّ قُرْئُكَ } ، أي ذلك القول الفصل . .

{ سَبِّحْ } : نزّه عن النقائص ، { اسْمَ رَبِّكَ } : الظاهر أن التنزيه يقع على الاسم ، أي نزّهه عن أن يسمى به صنم أو وثن فيقال له رب أو إله ، وإذا كان قد أمر بتنزيهه اللفظ أن يطلق على غيره فهو أبلغ ، وتنزيه الذات أخرى . وقيل : الاسم هنا بمعنى المسمى . وقيل : معناه نزّه اسم الله عن أن تذكره إلا وأنت خاشع . وقال ابن عباس : المعنى صلّ باسم ربك الأعلى ، كما تقول : ابدأ باسم ربك ، وحذف حرف الجر . وقيل : لما نزل { فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اجعلوها في ركوعكم) . فلما نزل : { سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } ، قال : (اجعلوها في سجودكم) . وكانوا يقولون في الركوع : اللهم لك ركعت ، وفي السجود : اللهم لك سجدت . قالوا : { الْأَعْلَى } يصح أن يكون صفة لربك ، وأن يكون صفة لاسم فيكون منصوبا ، وهذا الوجه لا يصح أن يعرب { السَّذَى خَلَقَ } صفة لربك ، فيكون في موضع جر لأنه قد حالت بينه وبين الموصوف صفة لغيره . لو قلت : رأيت غلام هند العاقل الحسنه ، لم يجز ؛ بل لا بد أن تأتي بصفة هند ، ثم تأتي بصفة الغلام فتقول : رأيت غلام هند الحسنه العاقل . فإن لم يجعل الذي صفة لربك ، بل ترفعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أو تنصبه على المدح ، جاز أن يكون الأعلى صفة لاسم . .

{ السَّذَى خَلَقَ } : أي كل شيء ، { فَسَوَّيْ } : أي لم يأت متفاوتا بل متناسبا على إحكام وإتقان ، دلالة على أنه صادر عن عالم حكيم . وقرأ الجمهور : { قُدِّرَ } بشد الدال ، فاحتمل أن يكون من القدر والقضاء ، واحتمل أن يكون من التقدير والموازنة بين الأشياء . وقال الزمخشري : قدّر لكل حيوان ما يصلحه ، فهداه إليه وعرفّه وجه الانتفاع به ، انتهى . وقرأ الكسائي : قدر مخفف الدال من القدرة أو من التقدير والموازنة ، وهدي عام لجميع الهدايات . وقال الفرّاء : فهدى وأصل ، اكتفى بالواحدة عن الأخرى . وقال الكلبي ومقاتل : هدى الحيوان إلى وطء الذكور للإناث . وقال مجاهد : هدى الإنسان للخير والشر ، والبهائم للمراتع . وقيل : هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدي ، وهذه الأقوال محمولة

على التمثيل لا على التخصيص . والظاهر أن أحوى صفة لغناء . قال ابن عباس : المعنى { فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى } : أي أسود ، لأن الغناء إذا قدم وأصابته الأمطار اسود وتعفن فصار أحوى . وقيل : أحوى حال من المرعى ، أي أحرى المرعى أحوى ، أي للسواد من شدّة خضرته ونضارته لكثرة ريه ، وحسن تأخير أحوى لأجل الفواصل ، وقال : % (وغيث من الوسمي حوتلاعه % .

تبطنته بشيظم صلتان .

. %)

.

{ سَدُّ قُرْءُكَ فَلَا تَنْسَى } ، قال الحسن وقتادة ومالك : هذا في معنى { لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ } . وعده أن يقرئه ، وأخبره أنه لا ينسى ، وهذه آية للرسول صلى الله عليه وسلم) في أنه أمّيّ ، وحفظ الله عليه الوحي ، وأمنه من نسائه . وقيل : هذا وعد بإقراء السور ، وأمر أن لا ينسى على معنى التثبيت والتأكيد ، وقد علم أن النسيان ليس في قدرته ، فهو نهى عن إغفال التعاهد ، وأثبتت الألف في { فَلَا تَنْسَى } ، وإن كان مجزوماً بلا التي للنهي لتعديل رءوس الآي . .

{ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } ، الظاهر أنه استثناء مقصود . قال الحسن وقتادة وغيرهما : مما قضى الله نسخه ، وأن ترتفع تلاوته وحكمه . وقال ابن عباس : إلا ما شاء الله أن ينسبك لتسن به ، على نحو قوله عليه الصلاة والسلام : (أني لأنسى وأنسى لأسن) . وقيل : إلا ما شاء الله أن يغلبك النسيان عليه ، ثم يذكرك به بعد ، كما قال عليه الصلاة والسلام ، حين سمع قراءة عباد بن بشير : (لقد ذكرني كذا وكذا آية في سورة كذا وكذا) . وقيل : { فَلَا تَنْسَى } : أي فلا تترك العمل به إلا ما شاء الله أن تتركه بنسخه إياه ، فهذا في نسخ العمل . وقال الفراء وجماعة : هذا استثناء صلة في الكلام على سنة الله تعالى في الاستثناء ، وليس ثم شيء أبيع ،